ISSN: 1817-6798(Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.com

Belonging in the poetry of Samih al – Qasi's "A'jaib Qana Al-Jadida" as an Example

M. Dr.. Ibrahim Namis Yassin

College of Basic Education/ Sharqat, University of Tikrit

A B S T R A C T

Modernism today is loaded with many phenomena that reflect a direct reflection on creativity in general and on literary creativity in particular, because it sheds light on all that concerns man and seeks to express all his concerns and aspirations.

Among the phenomena that have a remarkable presence in our contemporary life is the phenomenon of belonging. It is one of the phenomena that occupies human thinking and takes over many of its activities.

© 2018 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.25.2018.05

Keywords:

Belonging to the place
Modern Arab poetry
Samih Al-Qasim
-Modernism

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 10 Jun. 2016
Accepted 22 January 2016
Available online 05 xxx 2016

الانْتِمَاءُ في شِعْرِ سَمِيْح القَاسم دِيْوانُ عجائب قانا الجَديدة نَمُوذَجَاً

م. د. إبراهيم نامس ياسين/كلية التربية الأساسية/ الشرقاط، جامعة تكريت

الخلاصة

المعاصرة اليوم مشحونة بالعديد من الظواهر التي تنعكس انعكاسا مباشرا على الإبداع عموما، وعلى الإبداع الأدبي خصوصا، لأنه يسلط الضوء على كل ما يشغل الإنسان، ويسعى إلى التعبير عن جميع همومه وتطلعاته.

ومن الظواهر التي لها حضور لافت في حياتنا المعاصرة ظاهرةُ الانتماء، فهي من الظواهر التي تَشْغَلُ تفكير الإنسان، وتستولي على العديد من نشاطاته، فظاهرة الانتماء تشتغل على العديد من المستويات أو النشاطات الإنسانية والتي منها: الدينيُّ والسياسيُّ والوطني والقومي والإنساني والأدبي.

وإيمانا منا بأهمية وفاعلية هذه الظاهرة في مجالها الأدبي تناولنا بالدرس ظاهرة الانتماء عند واحد من أهم شعراء الوطن العربي المعاصرين، ألا وهو سميح القاسم.

وهناك عدة مسوغات لدراسة الانتماء عند سميح القاسم تحديدا، من أهمها: ما ذكرناه من أهمية حضور الانتماء في حياتنا

* *Corresponding author: E-mail* : adxxxx@tu.edu.iq

المعاصرة، وفاعليته على صعيد مستويات عدة، ومما يمنحنا شرعية تناول هذا الموضوع، واختيارنا لسميح القاسم بروز هذه الظاهرة في شعره عموما، وفي ديوانه:(**عجائب قانا الجديدة**)، خصوصا، فكان عنوان البحث:(**الانتماء في شعر سميح القاسم، ديوان عجائب قانا الجديدة نموذجا**).

لقد مثل سميح القاسم صورة حية من صور النضال الفلسطيني، واختصر صفحات طويلة من تاريخ الجهاد ضد واحدة من أعتى آلات القتل والتشريد التي شهدتها الإنسانية، فمهما حاول المستعمر سلب الأرض، ازداد أهل الأرض تمسكا بها، ومهما حاول المغتصبون انتزاع الوطن تعلق المحبون لترابه به، ومهما سعى لمحو الهوية زاد انتماء أهل فلسطين لكل ما يمت إلى فلسطين بصلة، سواء أكان دينيا أم وطنيا أم قوميا، فالانتماء في شعر سميح القاسم يعد رد فعل حقيقي عن كل ما عاناه الشعب الفلسطيني الذي هو واحد منهم.

أما (قانا) فهي تلك الأرض الفلسطينية التي على أرضها وقعت مجزرة وحشية تضاف إلى تاريخ إسرائيل الدموي، فما كان من الشاعر إلا أن فضح تلك الممارسات الدموية التي أدمنها الإسرائيليون، فهي عجائب فظيعة في موازين من يمتلك أدنى رصيد من الإنسانية، لكنها فعل عادي مألوف للقتلة الإسرائيليين.

وقد أفادتنا العديد من المصادر في بحثنا هذا، كان في مقدمتها: **الانتماء في الشعر الجاهلي**، للدكتور فاروق أحمد اسليم، و: **أزمة المواطنة في شعر الجواهري، لفرحان اليحيى.**

واشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، تحدثنا في التمهيد عن مفهوم الانتماء، وقدمنا فيه سيرة موجزة عن سميح القاسم، أما المباحث، فكان المبحث الأول: **الانتماء للوطن**، والثاني: **الانتماء للمكان**، والثالث: **الانتماء للماضي**، ثم خاتمة بيَّنها فيها أهمَّ النتائج، وتلتها قائمةُ المصادر والمراجع.

وهذا البحث في صورته الحالية، فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى، وما كان من خطأ فمني، والحمد لله أولا وآخرا.

الانتماء لغة

يشير ابن فارس اللغوي إلى دلالة هذا الأصل:((نَمَا)المَالُ [يَنْمِي] إذا زَادَ، وَنَمَا الخِضَابُ يَنْمُو نَماءً، إذا زَادَ حُمْرَةً وسَوَاداً، وانْتَمى الشيءُ إذا ارْتَفَع من مكانٍ إلى مكانٍ، وانتمى فلانٌ إلى حَسَبِه، ونَمَّيْتُ الحَدِيْثَ إذا أشَعْتُه، ونَمَيْتُه بالتخفيف إذا أسْنَدْتُه))(i)، و((انتمى إليه: انتسب))(ii).

أما الزمخشري فقد ذكر المعنى المجازي لهذا الأصل:((ومن المجاز: فلانٌ يُنْمِيْه حَسَبُه، وقد نمَاهُ جَدٌّ كَرِيْمٌ))(iii).

فالمعنى اللغوي في عمومه يشير إلى ارتفاع وعلو، والمعاني الحسية في اللغة تسبق المعاني المعنوية، فدلالة الانتساب والانتماء لاحقة لدلالة العلو والارتفاع بجميع مدلولاتها الأخرى، وهذا ما يشي بان معنى الانتماء المشتق من الجذر :(نما) لا تغادر دلالتها الأصلية الحسية، ففيها هي الأخرى من معاني الارتفاع والعلو، ففي انتماء الفرد إلى مجموعة ما علو له، وارتفاع من شأنه.

مفهوم الانتماء

يعد مفهوم الانتماء من المفاهيم التي تشهد حضورا لافتا في العديد من المستويات، فنجد هذا المصطلح يدور في الأوساط الدينية والسياسية والإعلامية والثقافية، وفي الحديث عن الحضارات، وغير ذلك من الأصعدة، بل نجد الإنسان المعاصر في العديد من نشاطاته يسعى لتعميق انتماءاته.

والانتماء في أبسط مفاهيمه(ظاهرة إنسانية فطرية تربط بين مجموعة من الناس المتقاربين والمحددين زماناً ومكاناً بعلاقات تشعرهم بوحدتهم، وبتمايزهم تمايزاً يمنحهم حقوقاً، ويحتّم عليهم واجبات، وهو متطوّر بالإرادة الإنسانية الباحثة عن الأفضل تطوراً ينوّع، ويوسّع، ويربط دوائره بالحذف والإضافة وليس بالإلغاء، ولا بالخلق الجديد)) (iv).

والإنسان منذ أن وجد على هذه الأرض لم يستطع أن يعيش منعزلا عن الوسط الذي يعيش فيه، فبين ((الإنسان والانتماء علاقة تلازمية، يتنوّع فيها التلازم (الانتماء) بتنوع العلاقات الإنسانية في مكان وزمان محدّدين، فهو ظاهرة إنسانية قُدمَى يرقى تاريخها إلى بداية تاريخ الوجود الإنساني نفسه)) (v)

فمن خلال انتمائه إلى المجتمع الإنساني البسيط تمثلت عنده صورة من صور الانتماء، ومن خلال انتمائه الديني، أو انتمائه للأرض ((ومع التطور الاجتماعي للبشرية، اتسعت ظاهرة الانتماء، فشملت أطراً جديدة كالعشيرة والقبيلة والأمة، وقد جمعت بين هذه الأطر الاجتماعية روابط مهمة ولدت ونمت على أرض عاشوا فيها وألفوها فتمسكوا بها، لأنها الحيِّز المكاني الذي شهد مسيرة السلف والخلف، وسيشهد مسيرة الأجيال القادمة، وهذه الدعامة الأولى من دعائم الأمة وموطن استقرارها وتطورها))(vi).

فيتضح لنا من خلال ذلك أن هناك سلسلة من الانتماءات، وكلما مضى الإنسان في تطوره ازدادت انتماءاته، واتسعت دائرة احتياجه إلى أكثر من وسط ينتمي إليه، وفي الحياة المعاصرة من النادر أن نجد شخصا ليس له انتماء إلى وطن ما، وإن فاته ذلك فله بالمقابل أرض ينتمي إليها، وقلما نجد إنسانا ليس له انتماء ديني، على تعدد الأديان وتباينها، فضلا عن الإنتماءات الأخرى مثل الانتماء القومي، أو الانتماء السياسي، او الانتماء الحزبي، أو الانتماء الثقافي وغير ذلك، فهذا التنوع في((الانتماء هو نتاج جدل الإنسان، وهو يبحث عن الوسائل التي ترقى به نحو التحرر، والانفلات من الظروف التي تعوق تطوره، فالإنسان يولد ضمن ظروف لا إرادة له فيها، وهذه الظروف تلزمه انتماءات لا إرادة له فيها أيضاً، وهي انتماءات قسرية كالانتماء إلى الأسرة والقبيلة والدين وغير ذلك. ولكن بني الإنسان ليسوا آليين، فتعامُلُهم مع تلك الانتماءات القسرية ليس واحداً، فبعضهم يستكين إلى تلك الظروف والانتماءات، وبعضهم يرى في جوانب منها ما يعوق تقدّمه، وبعضهم يرى ما يعوق تقدمه، ويتصوّر حلاً لمشكلته، وبعضهم يرى ما يعوق تقدمه ويتصور الحلّ، ويقرنه بالعمل اللازم لإزاحة ما يعوق التقدم، وفي أثناء ذلك يحدث الجدل، فيكون حاداً بالصراع أو هادئاً بالحوار، وفي كلا الحالين تظهر إرادة الإنسان القادر على التدخل في سير الظروف، مسلّحاً بالمعرفة البسيطة أو العميقة للقوانين التي تحكم الطبيعة والوجود الإنساني معاً))(vii).

فتعدد الانتماءات قد يكون عبئا على المجتمعات والأوطان والأمم إذا لم يحسن الناس التعامل مع تلك الانتماءات، فتتحول صور الانتماء إلى شكل من أشكال الصراع الإنساني، وبالمقابل قد يسهم تعدد الانتماءات في إثراء المجتمعات في العديد من النواحي الدينية والثقافية والسياسية، وهي مرهونة بقضية حوار الانتماءات لا أن توظف في إثارة الصراعات.
وقد عالج الأدب العربي منذ نشأته مفهوم الانتماء، وقد تمثل ذلك في أقدم النصوص الشعرية التي وصلت إلينا من العصر الجاهلي، ولم يتخل الأدب العربي عن هذا المفهوم في رحلته الطويلة، غير أن أشكال الانتماء تتباين بين عصر وعصر، ففي العصر الجاهلي على سبيل المثال طغى مفهوم الانتماء للقبيلة على كل انتماء، وحين جاء الإسلام برسالته السمحة الخالدة برز مفهوم الانتماء الديني الإسلامي فصار هو السائد.

أما في العصر الحديث فهناك تشابك وتعقيد في الانتماءات، وقد سعى الشعر إلى معالجتها، ولعل الإنتماء الوطني أبرز صور الانتماء في الشعر المعاصر، فلا غرابة أن نجد هذا النوع من الانتماء سائدا في الخطاب الشعري للشعراء الذين يعيشون في أوطانهم، أو الذين يعيشون خارجها، لان الخلافات التي غالبا ما تلجيء الأدباء إلى مغادرة أوطانهم هي خلافات مع الأنظمة، فيظل الأديب متصالحا مع الوطن حتى وهو بعيد عنه، بل يتجلى حبه وانتمائه للوطن أشد مما لو كان في داخله.

سميح القاسم سيرة موجزة

ولد سميح القاسم في مدينة الزرقاء في الأردن سنة 1939 ميلادي وهو من عائلة تنحدر من أصول درزية تعيش في قرية الرامة في الجانب الغربي من فلسطين، وتعلَّم في مدراس الرامة والناصرة وعلَّم في أحدى هذه المدارس، ثم انصرفَ بعدَها إلى نشاطِه السياسي في الحزب الشيوعي، لكنَّه قَبْلَ أن يترك الحزب ويتفرغ إلى عمله الأدبي، سُجن القاسم أكثر من مرة بسبب أشعاره ومواقفه السياسية، وهو شاعر مُكثر يتناول في شعره الكفاحَ ومعاناة الفلسطينيين، وما إن يبلغ الثلاثين حتى كان قد نشر ست مجموعات شعرية، حازت على شهرة واسعة في العالم العربي(viii).

يعد سميح القاسم واحدا من أبرز شعراء فلسطين، أسهم بتحرير (الغد) و(الإتحاد) ثم رأس تحرير جريدة (هذا العالم) عام 1966م، ثم عاد للعمل محررا أدبيا في الإتحاد، وأمينا عاما لتحرير الجديد ثم رئيس تحريرها(ix)، صدرت عنه في الوطن العربي وفي العالم عدة كتب، ودراسات نقدية، تناولت أعمال الشاعر وسيرته الأدبية، وإنجازاته، وإضافاته المتميزة، شكلا ومضمونا، أُطلق عليه لقب شاعر المقاومة الفلسطينية، وشاعر القومية العربية، والشاعر العملاق، وشاعر الغضب الثوري(x)، بسبب نضاله ضد الاحتلال الصهيوني للدفاع عن وطنه فلسطين. حصل سميح القاسم على العديد من الجوائز والدروع وشهادات التقدير وعضوية الشرف في عدة مؤسسات، فنال جائزة ثمار الشعر من إسبانيا، وعلى جائزتين من فرنسا عن مختاراته التي ترجمها إلى الفرنسية الشاعر والكاتب المغربي عبد اللطيف اللعبي، وحصل مرتين على وسام القدس للثقافة من الرئيس الراحل ياسر عرفات، وعلى جائزة نجيب محفوظ من مصر(xi)، صدر له أكثر من ستين كتابا في الشعر، والقصة والمسرح والمقالة والترجمة، فضلا عن أعماله الأدبية الأخرى التي ترجمت إلى لغات مختلفة، وبعد هذه المسيرة الحافلة بالعطاء والدفاع عن الحق والأرض غيب الموت الشاعر الكبير سميح القاسم ابن قرية الرامة عن عمر ناهز الخامسة والسبعين عاما، فقد وافته المنية عام 2014، بعد صراع مع المرض، رحم الله شاعرنا الكبير وتجاوز عنه.

الانتماء للوطن

على امتداد العصور، وفي مختلف الأزمان لم يستطع الإنسان أن يعيش وحيدا، ولم يصمد منفردا، فهناك العديد من المسوغات التي تؤكد ضرورة الانتماء إلى جماعة ما، على اختلاف هذه الجماعات، وعلى تعدد أشكالِها وأحجامِها؛ وذلك لأن((الانتماء نزوعٌ طبيعيٌّ إلى الوطن والأُمَّة، إذ تنصهر الذات الفردية بالذات الجماعية، ويُصبح الولاء الخاص والعام جوهر الوجود الحقيقي على الأرض، فيتحوَّلُ إلى شكل من أشكال التضامن والالتحام بين أبناء الوطن، ولا سيَّما في الأزَمات الحادَّة واشتداد الخطر الخارجي، وبهذا يُصبِحُ الدفاع عن كيان الأمة صورةً من صُوَرِ الانتماء الفعلي، كما تتحوَّل المُعَاناة التاريخية إلى سلوك، وهي متجددة في أرضه وفكره ومعتقده، بما فيها من مساحات مضيئة ومظلمة))(xii).

ويتجلى الانتماء على أكثر من مستوى، ولا سيما في حياتنا المعاصرة، فهناك ((الانتماء السياسي، الوطني، والقومي، ثم الانتماء إلى الإنسانية، كذلك الانتماء العاطفي الذي يتجلَّى بالحس الذاتي والشعور الوجداني للوطن والأمة. وهناك الانتماء إلى العقيدة والحضارة التي ينتسب إليها الفرد، وثمَّة عَلاقة وطيدة بين الوعي والانتماء؛ لأن الوعي يُعَزِّزُ الانْتماء ويُنَمِّيه، ومن هنا يبرُزُ دورُ الأدب والسياسة والفكر في بلورة الوعي الوطني والقومي، ولمواجهة الغزو الاستعماري العالمي حِفَاظاً على الهوية الحضارية عن طريق الإنتاج والإبداع، ممَّا يُسْهِم الوعي في مواجهة النزاعات العرقية والقبلية المتطرفة))(xiii)، فَقَد صاحب الشعر الشعور والوطني والقومي، لذلك يندر أن نجد شاعرا هجا وطنه، على الرغم من أن الهجاء لم يترك مضمونا إلا تناوله، ولم يسلم منه فرد أو طبقة من طبقات المجتمع.

والانتماء الشعري للوطن يختلف عن مستويات الانتماء الأخرى للوطن، فالإنسان يُوْلَدُ منتميا لوطن ما، فقد يكون هذا الانتماء انتماءً قسريا، أما الانتماء الشعري للوطن فهو تجديد الولاء له، وإعلان الوئام والوفاق الدائم مع الوطن، فهذا النوع من الانتماء يتجاوز الانتماء بحكم الميلاد، أو الأشكال الأخرى من أشكال الانتساب للوطن، فالحب هو الذي يعقد الصلة بين الشاعر ووطنه.

والانتماء الشعري لا يبقى حبيس الشعور بحب الوطن، بل لا بد أن يتجسد ذلك على المستوى الإبداعي، فهو((حضورٌ إبداعيٌّ على الصعيد الثقافي والعلمي. فثمة أعمالٌ إبداعية في التراث العربي والعصر الحديث، عبَّرت عن الهوية العربية باقتدار، وتجاوزت حدود الانتماء إلى آفاق إنسانية))(xiv).

فالانتماء الشعري للوطن يتولد من خلال الانتماء الطبيعي له، وبطبيعة الحال لا بد أن يتبادل الإنسان مع الوسط الذي يعيش فيه، والجماعة التي ينتمي إليها، لا بد أن يتبادل التأثر والتأثير، على مختلف النشاطات، ومن ذلك النشاط الإبداعي، فإن ((القيم الواحدة تحمل لنا سر انتمائية الفرد والجماعة إلى جذور واحدة، وأرض مشتركة، وحياة واحدة، وقد جاءت القصيدة لتعكس هذا الانتماء الواحد في أوزانها وأشكالها))(xv).

ويزيد انتماء الإنسان للأشياء التي يحاول الآخرون سلبها منه، ولا شك في أن الوطن أكثر هذه الأشياء، ففلسطين الوطن القضية، حاول الغزاة الإسرائيليون سلبه من أهله، مما زاد من تعلق أهلُه به، واشتدَّ انتماؤهم له، وكان الشعراءُ في مُقدِّمة الذين انتموا للوطن وأخلصوا لقضيته.

وفي ديوان: (عجائب قانا الجديدة) كان الانتماء للوطن حضورٌ واسعٌ، ومن ذلك قوله:

بكُلِّ اللغاتِ رَضِيْنَا به وَطَنَاً من نضَارٍ، وَنَرْضَى
به وطَنَاً من حَدِيْدْ
ونرضَى به باقَةً من زُهُورٍ ونرضى به نُدْبَةً من صَدِيْدْ
وليس لنا غيرُه
وليس له غيرُنا
وعن دَرْبِنَا لا يَحِيْدُ وعن دربه لا نَحِيْدْ(xvi)

فالانتماء للوطن هنا واضح جلي، فهو ينتمي للوطن بجميع حالاته، في حالات السلم والحرب، فهم لا يكتملون إلا به، وهو لا يكتمل إلا بهم، وقد عمل مُسْتَهَلُّ هذه المقطوعة الشعرية دورا وظيفيا بالغا، فقوله:(**بكل اللغات**) يشير إلى أنهم مهما توزعتهم المنافي، ومهما تكلموا بلغات أخرى، وبلهجات متباينة فإنما يظل انتماؤهم له، ويظل ارتباطهم بالوطن قويا.

ومما ينبغي الإشارةُ إليه أنَّ حديثَ سميح القاسم عن الانتماء للوطن مشوبٌ بالحُزْن، لِمَا يعاني منه الوطن من شدائد، ولما يمر به من ويلات تهدده، يقول

خَرائطُنَا لمْ تَصُغْهَا طُمُوحَاتُنَا
صاغَها الأجْنَبيُّ الغريْبُ المُقيمُ
ونَحْنُ حَفِظْنَا الخَرائِطَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِ(xvii)

فالغَريبُ هو الذي يرسُمُ صُورَةَ الوَطَنِ، وهو الذي يسعى إلى تشكيْلِه، فالوطن لا يغادِرُ أصحابَه، يظلُّون مسكونين بحبه، يحفظون تفاصيلَه، ولا ينسون حدوده، خوف استلابه منهم، فالأجنبي الغريب هو الذي صاغ الحدود، وهو الذي جزَّأ وقسَّم البلاد، لكنَّ أصحابَ الأرض الحقيقيين يحفظون حدودَها الأولى، وهم مُنْتَمون إلى تلك الحدود، حافظون لها، فلا بد أن يأتي يوم تُعيدُ طموحاتُهم تشكيل الخريطة من جديد.

ومن الصور الأخرى الموغلة بالألم قوله:

لأنِّي مَلَلْتُ المقامَ، وأنتَ مللتَ المقامَ
ونحنُ مللنا المَقَام
وحلَّ علينا الظَّلامُ
وحَلَّتْ بداياتُنا في الخِتَام
فلسنا نغيبُ طويلاً، نغيبُ عن الوَعْي لكنَّنا
لا نغيْبُ طويلاً
علينا السلامُ علينا السلامُ علينا السلامُ
عجيبتُنَا أننا ما رحلنا
رفضنا الرحيْلَ القديم ونرفُضُ إغراءَنا بالرحيلِ الجديد
ونرفُضُ كُلَّ الوُعُود(xviii)

هنا مقامان يذكرهما الشاعر، الأول مقام الغازي المحتل في أرض ليست له، والثاني مقام أهل الأرض مع قوم احتلوا الأرض، وشردوا الشعب، وكلاهما كَرِهَ ومَلَّ المقام، فلا المَنْطقُ، ولا طبيعَةُ الإنسان تسمَحُ باجتماعهما، فالظلامُ استولى على حياة أهل الأرض، والحزن ساد بأرجائها، ولكن اليأس لم يستولِ عليهم، فما زالوا منتمين إلى كل تفاصيل الوطن، وما زال الشعب يسعى لاسترداد وطَنِه السَّليبِ، رافضاً الرحيل عن الوطن، رافضاً كل الوعود الكاذبة التي تقدمها الأمم، في محاولَةٍ منهم لتسويْغِ الاحتلال، ولعلَّ الانتماء يظهر هنا من خلال فِعْل الرفض، رفضِ الرحيل، ورفض الاستسلام، وفعل رفض الغياب طويلاً عن مشهد الوطن.

ومن مظاهر الانتماء للوطن ما ذكره سميح القاسم في قوله:

هنا الأرض موحشَةٌ فارغه
وبعض الكلاب الشريدة في دمها والغة
هنا الأرض من مجلس الأمن تمضي
إلى وصمة دامغة
إلى وصمة دامغة
ومن عالم قاصر قاصر
إلى محنة بالغة
هنا الأرض في الأرض في الأرض فارغة فارغة(xix)

فالانتماء يظهر في تصوير أرض الوطن فارغة موحشة كئيبة، فالأوطان لا تسمى أوطانا، إلا إذا وطنها اهلها المحبون لها، أما الغرباء الذين رمز لهم بـ(الكلاب الشريدة) فإنهم لا يزيدون إلا إيغالا في جراحات الوطن، فأرض الوطن على الرغم من كثرة ساكنيها إلا أنها فارغة؛ لأن الذين يسكنونها لا تشعر الأرض بأنهم منتمون لها.

وكذلك عمل الرفض على تعميق الانتماء للوطن، ففي رفضه لتدويل قضيته في مجلس الأمن:(هنا الأرض من مجلس الأمن تمضي)، ذلك المجلس الذي لم يمنح الوطن إلا ضربات دامغة.

الانتماء للمكان

ليس المكان هو ذلك ((الوعاءَ الذي يحتوي الحَدَثَ ضِمْنَ سياقٍ زمنيّ معينٍ))(xx)، أو ليس هو مجرد ذلك((الإطار الذي تقع فيه الأحداث))(xxi)، بمعنى أنه ليس هو أرضيةً جامدةً تقومُ عليها الأحداثُ دون أن تَتَفاعَلَ معها، أو تغير في سماتها، وهذا ما يمنح المكان في النصوص الأدبية دوراً وظيفيّاً، وذلك((لاستحالَةِ بناءِ الحَدَثِ والشخصيَّةِ في مكانٍ لا ملامِحَ لَهُ، إضافَةً إلى كون المكانِ يواصِلُ الإحساسَ بمغزى الحياةِ، ويُضاعِفُ التأكِيْدَ على تواصُلِهَا وامتدادِها))(xxii). فَلا يَنْعَزِلُ المكان الأدبي عن العَنَاصِرِ الفنيَّةِ الأُخْرَى، وإنَّما يدخُلُ في سلسلةٍ من العَلاقاتِ المُتداخِلَةِ معها، فلا يمكِنُ فصلُه عَنْهَا لما له معها من تفاعل وتمازج(xxiii)، فضلا عن ذلك فإن المكان((تبنى تكويناته من الحياة الاجتماعية، وتستطيع أن تؤشر عليه بما يماثله اجتماعياً وواقعياً))(xxiv) فوفق هذا المنطلق لا يبنى على طبيعته الحقيقية الجغرافية.

فالمكان الأدبي وإن استمد بعض خصائصه من الواقع، إلا أنه لا يظل حبيسَ ذلك الواقع، وإنما يتجاوَزُه إلى أبعادٍ أخرى؛ فالأمكنة قَبْلَ أن توظف في النصوص الأدبية لها وُجودٌ حقيقي على أرض الواقع، لكنَّ الذات المنتجة للنص الأدبي لا تُقدِّمُ الأمكنة بكل تفاصيلها، وكما هي في طبيعتها الواقعية، وإنما يَخْرُجُ المكان مشحونا بالتجربة الأدبية عموما، فيضفي الأديب على المكان عاطفة وخيالا ويضمنه محتوى فكريا جديدا فيصير بالتالي مكانا فنيا يعد جزءا من النص ذاته لا من الواقع المشاهد، لذلك توصف الأمكنة في النصوص الأدبية بالجمود حين تنقل نقلا فوتوغرافيا أمينا.

فالشاعر أو الأديب عموما لا يعمد إلى نقل المكان كما هو دون تغيير، بل يسعى إلى أن يفتت جزئياته، ويحاول أن يفقدها تماسكها البنائي الطبيعي ، ليعيد إنتاجها من جديد(xxv).

ومما ينبغي الإشارة إليه أن المكان يعد من أهم عناصر الفنون الأدبية عموما، فلا يكاد يخلو فن من الفنون من عنصر المكان، فهو الميدان الحامل للشخصيات، وهو الذي يشهد وقوع الأحداث، وهو الذي يَكْشِفُ عن أبعاد الشخصيات، وبالمقابل قد تكشف الشخصيات عن ملامح الأمكنة.

وبطبيعة الحال فإن الأماكن تتباين أهميتها، فمنها ما لا يدخل في حيز التجربة الأدبية، فيظل في معزل عنها، ومنها تلك الأمكنة التي لا ينفك المبدع عن إنتاجها من جديد، فتتجلى في نصوصه ضمن سياقات متعددة، لذلك فإن((المكانَ الذي ينجَذِبُ نحوَه الخيالُ لا يمكن أنْ يبْقَى مكاناً لا مبالياً، ذا أبعادٍ هندسيَّةٍ وحسبُ، فهو مكانٌ قد عاشَ فيه بَشَرٌ ليسَ بشكْلٍ موضوعيّ فقَطْ؛ بل بكُلّ ما في المكان من تحيُّزٍ، وخاصَةً إنَّهُ يملِكُ جاذبيةً في أغلَبِ الأحيانِ؛ وذلِكَ لأنَّه يُكَثِّفُ الوُجُودَ في حُدُودٍ تتَّسِمُ بالحِمَايَةِ))(xxvi)، فهذا النوع من الأمكنة ((يرفُضُ أن يبقى منغلِقاً بشكلٍ دائِمٍ، إنَّه يتوزَّعُ، ويبدو كأنَّه يتَّجِهُ إلى مختَلَفِ الأماكِنِ دونَ صُعُوبَةٍ، ويتحرَّكُ نَحْوَ أزمنَةٍ أخرى وعلى مُختَلَفِ مستوياتِ الذَّاكرَةِ والحُلُمِ))(xxvii). فالمكان الذي يوظف في التجربة الأدبية هو المكان الذي تفاعلت معه مشاعر المبدع، فيفرغ عليه مشاعره، وتمتزج به لواعجه.

فلا غرابة أن نجد انتماء مكانيا عند سميح القاسم، فهو الشاعر الذي عانى ما عانى من الغربة والتشرد، فقد حرم من تلك الأمكنة التي شهدت كثيرا من ماضيه الذاهب، فقد حال بينها وبينه احتلال بغيض، فلم يعد يستطيع الوصول إليها، لذلك كان الإلحاح عليها في القصيدة كثيرا، ليعمل على استحضارها في مساحات القصيدة.

لا يكاد حديث المكان يختلف كثيرا عن حديث الوطن، فنستطيع أن نقول إن بينهما علاقَةَ العموم الخصوص، فالأمكنة الشعرية التي نتحدث عنها في إطار الانتماء هي أماكن تنتمي للوطن، ولا شك أن إلحاح الشاعر على أماكِنَ بعيْنِها، وإظهار تفاصيلها، والعناية بتصويرها له أَثَرٌ بالغ في نفس الشاعر، وله دورٌ بالغٌ في إعلان الانتماء للمكان.

ومن صور انتماء الشاعر سميح القاسم للمكان قوله:

رسمتُ على الرَّمْلِ حَدَّا
وفي الصَّخْرِ وَعْدَا
وفِي الطِّيْنِ رَدَّا
وأُقْسِمُ... هذا دمي وبلحمي وحلمي
أنا أتصدّى(xxviii)

فالشاعر هنا يؤكد انتماءه للمكان، يرسم حدوده، ويودع فيه وعوده، بل لا يكتفي بذلك وإنما يندمج معه اندماجا بالغا، ويتماهى مع تفاصيله:(دمي، وبلحمي، وحلمي).

وفي أكثر من موضع يتشابك الزمان مع المكان في إنتاج دلالة الانتماء، ومن ذلك قول القاسم:

أَنَا وَلَدٌ مِنْ ضَواحِي الجَنُوْبِ
يدرّبُ قَلْبَه
أنَا وَلَدٌ من ضَحايا الجَنوب
أُصَارِحُكم باستيائي وخوفي وشكّي(xxix)

فَذِكْرُ المكان في مُستهل هذه المقطع الشعري يؤكد انتماءَهُ له، وأنَّه يحيا معه، وفضلا عن المكان فقد حَضَرَ الزَّمن الماضي هو الآخر من خلال استحضار صورة الطفولة.

فتكراره للمكان:(الجنوب)، مرَّةً مضافا لـ: (ضواحي)، ومرة مضافا لـ:(ضحايا) يؤكد شدة انتمائه إليه في الماضي والحاضر، وفي الحالات جميعا، عندما كان موئلا للعب وحين احتوى الضحايا، فلا محيد له عن التعلق بهذا المكان.

لقد ذكر سميح القاسم أمكنة كثيرة في نصه، فمنذ العنوان يأخذنا إلى مكان قانا، ذلك المكان المشحون بدلالات الحرب والدمار، ومعظم الأماكن التي ذكرها الشاعر تنتمي إلى فلسطين(xxx)

لقد آمن الشاعر بالسلام، وأكّد أنَّ الأمكنة لا تعود إليها الحياة إلا إذا عمَّ السلام الذي يتْبَعُ النَّصْرَ، وإلا فالاحتلال الذي ينشر الحرب والروع يسلب الزمان والمكان، فلا وجود لأي مظهر من مظاهر الانتماء، لأنه لا وجود حقيقي للزمان ولا للماكن آنئذ:

وَيَهْمي علينا الضَّيَاعُ ويَهْوِي الظلامُ
ويَهْوِي العذابُ ويهوي الهوانْ
على سَاحَةِ الحُبِّ والوَرْدِ والعُنْفُوانْ
ونهوي إلى اللازمانْ
ونهوي إلى اللامكانْ
ونهوي ونهوي ونهوي(xxxi)

فالواقع بكُلِّ تعقيداته، وبكل ضياعه، بالظلام الذي ينشُرُه الذين يستولون على المكان، بالهوان الذي يسقطونه على الناس، فهذا الواقع يعمل على سلب المكان والزمان، وإلغاء دورهما من حياة الإنسان، وبالتالي يفقد الإنسان معاني الانتماء حينما يحيط به:(اللازمان، واللامكان)، غير أنَّ الشاعر لا يستسلم أمام هذا الظلام، ولا يركن إلى اليأس، ففي العديد من المقاطع الشعرية الأخرى ينشر العديد من صور التصدي والصمود، وذلك من خلال تصوير الأماكن وقد انتشر فيها الفرحُ، وعمَّ فيها الضياءُ والسلامُ، منها قوله:

ويفرَحُ قمحٌ ويُزْهِرُ صَرْحٌ وتزهو نجومُ
ويصحو فضاءٌ فما من نيازك تهوي علينا فتنسى
الطريق إلينا رجومُ
ويعطي السلامُ السلامَ ويهدي الهدوءُ
الهدوءَ ويصدحُ فينا النماءُ وينزحُ
عنا الوجومُ(xxxii)

فلم يغادره الأمل، وإنما ظل رفيقه في انتمائه لأرض من الضياء، ولزمن من الصفاء، يسود فيه السلام، ويذهب عنه كل من حاولوا سلب هدوء الأماكن.

الانتماء للماضي

ذكرنا فيما سبق أن هناك أشكالا متعددة من الانتماء، ولكن هذا التعدد في الانتماءات ((لا يعني استبدال انتماء جديد بآخر قديم، بل يعني إضافة انتماء إلى آخر في عملية جدلية تنتج انتماءً متطوّراً)) (xxxiii)، ولا سيما حين تكون هذه الانتماءات متجاورة:(انتماء للوطن، انتماء للمكان، انتماء للماضي، انتماء ديني).

فالحنين إلى الماضي نزوعٌ فِطْريٌّ عند الإنسان، ولعلَّ أبرز الأسباب في ذلك أن الماضي قد وقَعَ، وقد أَمِنَه الإنسان، وزال الخوف بكل تفاصيله من الماضي، على العكس من المستقبل الذي يكون في عالم الغيب المجهول عنا، لذلك غالبا ما يكون المستقبل مشحونا بالخوف.

وفضلا عن ذلك فإن الماضي هو بأبسط مفاهيمه عمر الإنسان الذاهب، وأيامه التي ليس له قِبَلٌ على استعادتها، فلا يستطيع أن يعود إليها إلا من خلال الذكريات، لذلك يبرز إعلان الانتماء للماضي جليا عند أكثر الشعراء، وما لا شك فيه أن هذه الظاهرة في أدبنا العربي قديمة قدم ذلك الأدب، فالبكاء على الأطلال صورةٌ واضحةٌ من صور إعلان الإنسان بتعلقه بماضيه، ولجوئه إليه، وانتمائه إلى أدق تفاصيله.

والشعر هو قضية إنسانية، وصورة من صور التعبير عن الأمة، فإنه موضوعي يعبِّر عن هُمُوم الجماعة، فالشاعر حين يعبِّر عن الماضي لا يُعبِّر عن ماضيه هو فحسب، وإنما يتعدى ذلك إلى التعبير عن هموم الجماعة التي يحيا معها، ويصور تطلعاتِها، ويتحدَّث عن مآسيها، فعلى هذا الأساس، فإنَّ((الشعر يمْكِنُ أن يُساهِمَ في كتابة تاريخ حضارَةٍ معيَّنة دون أن يقصد إلى ذلك. وهكذا يُصبح الشاهد الأمين على أحداثٍ معينة، وما ملاحم الشعوب المختلفة إلاَّ عبارة عن أشعار يتداخل فيها الشعري بالتاريخي))(xxxiv). فماضي أمة من الأمم، أو تاريخ وطَنٍ من الأوطان قد نجده ماثِلاً في التجربة الشعرية لشاعر معين.

والشاعر العربي المعاصر عموما، والفلسطيني خصوصا عاش عصرا مشحونا النكبات، وعاين مرحلة زمنية كان شاهدا فيها على سلسلة من النكسات، وهل هناك أشدُّ من احتلال الأرض، والتهجير عن الوطن، والتشرد في البلدان، فالحاضر بالنسبة له ظل يمثل مساحة ظلماء لا يتسنَّى له الانفكاك عنها، فأنى تلفَّت يجد أحبابَه تتوزَّعهم المنافي، وينثرُهم الشتات، وأنى تلفَّت يجد دماء أبناء وطنه ما زالت دافئة على أرضهم التي يجاهدون لاستردادها، وأنى تلفت يسمع أصوات المعتقلين والمعتقلات تترصد صفوه، وهو المطالَب بأن يترك في نصوصه شيئا من الضياء، وأن يحمِّل خطابه الشعري شيئا من المجد، عليه ألا يبدو مهزوما بحجم الهزيمة الكائنة في واقعه الحقيقي، لذلك وجد في الماضي صورة مشرقة من صور النصر، تدرع بها وهو يواجه هزائمه المتكررة، ولم يكن في توظيفه للماضي منهزما من الواقع بكل انكساراته، وإنما كان يسعى إلى استمداد معين النصر من الماضي للحاضر، وهذا القول ربما ينطبق على الشعراء الفلسطينيين عموما، وليس على سميح القاسم وحده، فالانتماء للماضي كان مفهوما شائعا عند الشاعر الفلسطيني.

وقد تجلى حضور الماضي واضحا في أكثر من موضع من ديوان/ قصيدة (عجائب قانا الجديدة) لسميح القاسم، من ذلك قوله:

رَفَضْنَا الرَّحيلَ القَديْمَ ونرفُضُ إغراءَنا بالرَّحيلِ الجَديدِ
ونَرْفُضُ كُلَّ الوُعُودْ(xxxv)

فهو يعرِّجُ على الماضي، ذاكرا موقف الماضين الذين تعرضوا لسلسلة من الغزوات، لكنهم رفضوا الرحيل عن الأرض، رفضوا مغادرة أماكنهم، فيعلن هنا انتماء الحاضرين لموقف مماثل لموقف الماضين، ورفضهم لكل الوعود الكاذبة التي يقدمها المحتل، وإن بعدت المسافات بينهما، وإن اختلفت مسميات الغزو والاحتلال.

والعدو الإسرائيليُّ كما هو معروف عنه لا يُحارِبُ بسلاحه فقط، وإنما بكُلِّ ما يملِكُ من وسائِلَ ليُسْقط بها أصحابَ الأرض

الحقيقيين، ومن ذلك أنه ظل يسعى لأن يصور الفلسطيني إنسانا يكره السلام، مجبول على الوحشية، فما كان من القاسم إلا أن يواجه هذا الإدّعاء الباطل من خلال انتمائه للماضين، ومُمَاثلتهم في الموقف:

ونحن كما عهدتنا القرونُ
نُوَاجِهُ بالوَرْد أعداءَنا
وَنَذْبَحُ بالوُدِّ أحبابَنَا
وحين تشب بنا النارُ نبكي
ونُهْدِي إلى النَّار أحْطَابَنَا(xxxvi)

فنحن أبناء أولئك الذاهبين، لم نتغير على مر القرون، وتعاقب الحوادث، ننتمي إليهم في محبتنا للسلام، فيظهَرُ فعلهم مع أعدائهم، فلا شك أنَّ فعلهم مع أصدقائهم سيكون أكثرَ سلاما، وأكثرَ مَوَدَّةً ومحبة، ولكنْ على الرَّغْم من انتماء الحاضرين للماضين، ومماثلتهم لهم، إلا أن الفرق يظهر في العدو، فهؤلاء الأعداء لا يشبهون أي عدو مضى، ولا يماثلون أي محارب غبر، فهم يقابلون الورد بالقنابل، والود بالحقد.

والذكريات هي الأخرى أسهمتْ إسْهاماً واضحا في إعلان انتماء القاسم للماضي، ومنها قوله:

وأبصرتُ حولي
وُجُوهاً تفيضُ بهاءً وَحُبَّا
وأذكُرُ أنَّ المرايا تباهتْ كثيراً بشكْلي
وأذكُرُ بَسْمَةَ أُمّي
وأذكر وجهَ أبي حين سمَّى عليَّ وراحْ(xxxvii)

فهذا الماضي يوشّح النص ببراءة الطفولة، وَيُسْهم في إمداد الحاضر بما لديه من تعقيدات وتشابكات معينا غضا من الطفولة المحاطة بـ:(**بسمة أمي**) و: (**وجه أبي**)، فضلا عن جَمَالِه هو الذي تباهت به المرايا، والوجوه التي ما زال يتذكَّرُها تفيض بهاءً وحُبَّاً، فهذه الصور التي تصورها من طفولته، تجعل النص منفتحا على الماضي، منتميا لزمن الطفولة، تلك الطفولة الباسمة التي ما زال محتفظا بها، لن يستطيع أحَدٌ ما سلبها منه.

ومن صور الانتماء للماضي ما ذكره سميح القاسم من حوادث إسلامية ماضية، فعمل على استحضارها، وإبرازها لِتُعَمِّقَ انتماءَه للماضي بأسمى حوادثه، ولِتُثْرِيَ النص بدلالات مضافة تعمل على الكشف عن سمو المكان والقضية، ومن ذلك قوله:

ما بين قانا وقانا
وللقدس ميعادها المتجمدُ(xxxviii)

فالشاعر هنا يشير إلى الوعد الرباني، والبشائر النبوية التي أكدت انتصار القدس واندحار عدوها، فميعاد القدس منجز لا محالة، ولكنَّه اليومَ متجمِّدٌ، ولا بد أن يخرج الميعاد في يوم ما من جموده، فهو يربط بين (قانا)، بما شهدته من خراب ودمار، والقدس تنظر إليها بميعادها المتجمد، فيستمد مظاهر الانتماء للماضي من خلال الصورة المضادة لهذا الموعد المتجمد للقدس.

ولا تقتصر مظاهر الانتماء للماضي من خلال القدس فحسب، وإنما من خلال العديد من الرموز الدينية إذ يوظف حادثة الإسراء والمعراج(xxxix) وقصة هاجر(xl)، يذكر المسيح (عليه السلام)(xli) نبينا محمد (ﷺ) (xlii)، وفي ذلك جميعا انتماء للماضي بأسمى رموزه، وبأجل حوادثه كما أسلفنا.

الخاتمة ونتائج البحث

بعد تناولنا لظاهِرَة الانتماء في ديوان سميح القاسم، توصَّلْنا إلى جُمْلَةٍ من النتائج، لعلَّ أهمَّها:

- شغلت قضية الانتماء مساحة واسعة من شعر سميح القاسم عموما، ومن ديوانه عجائب قانا الجديدة خصوصا، فكانت مضمونا بارزا من مضامين هذا الديوان.
- كُلَّما تغرَّبَ الإنسانُ عن وطنه، وكلما أحس أن وطنه يُسْلَبُ منه ازداد انتماؤه إليه، وهذا الكلام إذا كان يصدق على الإنسان بشكل عام، فإن هذا الشأن يكون أكثر التصاقا بالشعراء، لأنهم الأكثر إحساسا، والأشد حنينا من سواهم.
- لقد عبر سميح القاسم عن انتمائه للوطن تعبيرا صادقا، نابعا من عمق التجربة، وحجم المأساة التي كان يستشعرها.
- سار الانتماء في ديوان عجائب قانا الجديدة في أكثر من اتجاه، أهمها الانتماء للوطن، والانتماء للمكان، والانتماء للماضي.
- يعد الانتماء للوطن أكثر حضورا من مظاهر الانتماء الأخرى في ديوان عجائب قانا الجديدة، فمظاهر الانتماء الأخرى تتعلق به، بل إن مظاهر الانتماء جميعها تتشابك جميعا، لتصب في مظهر الانتماء الأساس ألا وهو الانتماء للوطن.
- حضرت فلسطين في ديوان عجائب قانا الجديدة في العديد من تفاصيلها، فأمكنتها ظلت ترافق الديوان/ القصيدة، منذ العنوان الذي حمل اسم:(قانا)، وقد سلط الشاعر الضوء على أدق تفاصيل فلسطين، كما حضر تاريخ فلسطين، وحضرت العديد من حوادثها الدينية والتاريخية، ورموزها، وكل أولئك وظفهم الشاعر توظيفا فنيا لتعميق دلالة الانتماء.

الهوامش

(i) مجمل اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي(ت395هـ):4/ 885.
(ii) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي/1430
(iii) أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، ت:(538هـ)/ 306.
(iv) الانتماء في الشعر الجاهلي، د. فاروق أحمد اسليم/14.
(v) المصدر نفسه/9.
(vi) الوعي والانتماء، ديب أبو لطيف/35.
(vii) الانتماء في الشعر الجاهلي/11.
(viii) ينظر: موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، سلمى الخضراء الجيوسي/378.
(ix) ينظر: المصدر نفسه/379.
(x) ينظر: معجم شعراء فلسطين، محمد حلمي الريشة/127.
(xi) ينظر: المصدر نفسه/ 128، وينظر الموقع الإلكتروني: httpiwww. Altjdad .com\showhtheread. pup
(xii) أزمة المواطنة في شعر الجواهري، فرحان اليحيى/253.
(xiii) المصدر نفسه/51.
(xiv) أزمة المواطنة في شعر الجواهري/38.
(xv) حسين جمعة: ظاهرة الانتماء (مقال)، مجلة التراث العربي، العدد44، تموز ، يوليو/ 1991. السنة الثامنة، دمشق/35.
(xvi) عجائب قانا الجديدة، سميح القاسم/46.
(xvii) المصدر نفسه/20.
(xviii) المصدر نفسه/45.
(xix) المصدر نفسه/17.
(xx) شحنات المكان، جدلية التشكيل والتأثير، ياسين النصير/75.
(xxi) بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، سيزا أحمد قاسم/76.
(xxii) البناء الفني لرواية الحرب في العراق، عبد الله إبراهيم/127.
(xxiii) ينظر: بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية) حسن بحراوي/26، و: فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعية جمالية، حبيب مؤنسي/7-8.
(xxiv) الرواية والمكان،، دراسة في فن الرواية العراقية، ياسين النصير ، بغداد دار الحرية للطباعة ، 1980م 27/1 0
(xxv) ينظر الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين إسماعيل /128.
(xxvi) جماليات المكان، جاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا/37.
(xxvii) المصدر نفسه/87.
(xxviii) عجائب قانا الجديدة/49
(xxix) المصدر نفسه/11.
(xxx) ينظر: المصدر نفسه: 9، 10، 11، 12، 18، 57.
(xxxi) المصدر نفسه/63.
(xxxii) المصدر نفسه/41-42.
(xxxiii) الانتماء في الشعر الجاهلي/10.
(xxxiv) الظاهرة الشعرية العربية، الحضور والغياب، حسين خمري/57.
(xxxv) عجائب قانا الجديدة/45
(xxxvi)المصدر نفسه/26
(xxxvii) المصدر نفسه/53.
(xxxviii) المصدر نفسه/18.
(xxxix) ينظر: المصدر نفسه/18.
(xl) ينظر: المصدر نفسه/18.
(xli) ينظر: المصدر نفسه/32.
(xlii) ينظر: المصدر نفسه/32.

قائمة المصادر والمراجع:

- أزمة المواطنة في شعر الجواهري، دراسة تحليلية في ضوء المنهج التكاملي، فرحان اليحيى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1421 هـ - 2001م.
- أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، ت:(538هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1419/1هـ - 1998م.
- الانتماء في الشعر الجاهلي، د. فاروق أحمد اسليم، منشورات اتحاد الكتاب العرب/ 1998.
- بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، سيزا أحمد قاسم مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، 1984م.
- البناء الفني لرواية الحرب في العراق، عبد الله إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد/1988.
- بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية) حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، الدار البيضاء/1990.
- جماليات المكان، جاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، دار الحرية للطباعة، بغداد/1980.
- الرواية والمكان، دراسة في فن الرواية العراقية، ياسين النصير ،بغداد دار الحرية للطباعة ، 1980م.
- شحنات المكان، جدلية التشكيل والتأثير، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2011/1.
- الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، دار العودة، دار الثقافة، بيروت، ط1972/2م.
- ظاهرة الانتماء، حسين جمعة (مقال)، مجلة التراث العربي، السنة الثامنة، دمشق. العدد44، تموز، يوليو، 1991.
- الظاهرة الشعرية العربية، الحضور والغياب، حسين خمري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001.
- عجائب قانا الجديدة، سِرْبِيَّة، سميح القاسم، منشورات إضاءات/2006م.
- فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعية جمالية، حبيب مؤنسي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق/2001.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1426/8 هـ - 2005 م.
- مجمل اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي(ت395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط1406/2هـ - 1986م.
- معجم شعراء فلسطين، محمد حلمي الريشة، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله، فلسطين، ط1، 2003م.
- موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، سلمى الخضراء الجيوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1997/1.
- الموقع الإلكتروني: httpiwww. Altjdad . com\showhtheread. Php.
- الوعي والانتماء، ديب أبو لطيف، مطبعة الصباح، دمشق/1986.